المقدمة

تتخذ الدراسات النفسية منهجًا خاصًّا لدى الشيرازي؛ فهي لا تُشكل جزءًا من الفلسفة الطبيعية، كما هو الحال عند أرسطو وابن سينا.

فالشيرازي آثر أن يدرس النفس بصورة مستقلة في حقل خاص؛ حيث أفرد لها سِفْرًا خاصًّا هو السِفر الرابع -المتمثل في الجزأين الثامن والتاسع من كتاب الأسفار- تناول فيه النفس بإسهاب، من حيث: وجودها وحدها، وحقيقتها، وقدمها أو حدوثها.. حتى يبلغ الميعاد الجسماني، والنشأة الثانية.

ويبدو أن هذا المنهج الذي أنتجه الشيرازي في دراسته سليم إلى حدٍّ كبير.

فالبحث في النفس بمعزل عن الفلسفة الفيزيقية له أهميته، من حيث إن هذا النهج يدل على مدى عناية الشيرازي الفائقة بالإنسان؛ ذلك أن فيلسوفنا صبَّ جُلَّ اهتمامه على الإنسان، وأصله، والغاية من وجوده، ورجوعه إلى بارئه.

وليس من شكٍّ أن دراسة الشيرازي للنفس، وبالتالي اهتمامه بالإنسان نابع من الدين نفسه.

فالقرآن الكريم اهتمَّ بالوجود الإنساني، وكرَّم نوع الإنسان، وفضَّله على كثير من المخلوقات، يقول الله تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

بل اعتبر الله الإنسان خليفته في الأرض بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

ولهذا خصَّ الله الإنسان بإرسال الرسل لهدايته وتقويمه، وجعل الإيمان هو الشرط الذي يحافظ به الإنسان على سموه، يقول تعالى في ذلك: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ [التين: ٤ - ٦].

فتفضيل الإنسان على سائر المخلوقات راجع إلى أصل خِلْقَة الإنسان، بمعنى: أن النوع الإنسان مُفَضَّل على سائر الخلق، ولكن الاحتفاظ بهذا التفضيل والتكريم لا يتأتى إلَّا بالإيمان والعمل الصالح، وهذا الذي دفعني إلى دراسة الإنسان عند الشيرازي.

فالشيرازي هو محمد بن إبراهيم القوامي المعروف بـ الملا صدر الدين الشيرازي، من فلاسفة الإسلام المتأخرين الذين ظهروا في فارس، وُلِدَ في مدينة شيراز، إحدى المدن الهامة الواقعة في وسط بلاد فارس، وذلك في عام ٩٧٩هـ-١٥٧١م، فارسي الأصل؛ إذ كان موطنه شيراز، وعربي التصانيف؛ إذ كتب كتبه بالعربية، ورحل إلى أصفهان، وتلقى علومه بها، ثم إلى البصرة، حيث تُوفي فيها وهو عائد من سفره حاجًّا من مكة، وكانت وفاته في سنة ١٠٥٠هـ.

وترجع أهمية الموضوع إلى:

١- إن للشيرازي فلسفة ذات طابع خاص مميز به، وقد يبدو ولأول وهلة أن فلسفته، إن هي إلَّا مزيج من حكمة المشائية، والتصوف، والإشراق، والدين، ويلاحظها المرء في كثير من المواضع في كتابته إلَّا أن نهجه يظل متميِّزًا محتفظًا بطباعه المتمثل في «الحكمة المتعالية».

٢- جمع الشيرازي بين العقل والذوق، وأبدع أيما إبداع، وهذه إحدى آيات عبقريته؛ ذلك أن الجمع بين البُرْهان والوجدان لم يتأتَ إلَّا لنفر قليل من عظماء الفكر.

٣- وكما جمع بين الفلسفة والتصوف -جمع بين العقل والنقل أيضًا، ويرى أنهما متطابقان تمامًا، وليس بينهما أدنى تناقض.

فالشيرازي سعى بكل جهده إلى أن يوفق بين الدين والفلسفة، وهذا طريق سَلَكَه من قبله معظم فلاسفة الإسلام.

٤- لم يلتزم صدر الدين بفلسفة محددة، ولم يترسم خُطا فيلسوف معين، مهما علا شأن ذلك الفيلسوف، بل لا يتردد في الجهر بمخالفته ونقده، وتبيَّن خطؤه فيما لو انكشف له ذلك.

٥- الآراء والنظريات التي أبدعها، أو التي جلاها، وكشف عن غموضها، وأثبتها بالبرهنة العقلية كثيرة أهمها: نظرية أصالة الوجود، والتشكيك في حقيقة الوجود، والحركة الجوهرية، ونظريته في النفس، واتحاذ العقل والمعقول والنفس كل القوى... إلخ.

٦- إن صدر الدين قدَّم لنا نظرية جديدة عن حقيقة النفس وتدرجها نحو الكمال، جاءت كحل وسط بين المدارس الفلسفية.

منهج الدراسة

وقد التزمت في إعداد هذا البحث بالمنهج التحليلي النقدي؛ لمناسبته لطبيعة الموضوع، فقد قمت بتحليل النصوص التي أوردتها في هذا البحث، وقارنت بين الآراء المختلفة كلما اقتضت الضرورة ذلك، كما عرضت كذلك لموقف الشيرازي النقدي تجاه آراء السابقين.

والبحث بعنوان: «الإنسان عند صدر الدين الشيرازي».

ويضم البحث ستة فصول:

الفصل الأول: حياته ومؤلفاته ومكانته.

ونقدم في هذا الفصل نبذة عن حياة صدر الدين الشيرازي، والعصر الذي عاش فيه، وفلسفته والينابيع الفكرية لهذه الفلسفة، عرضًا موجزًا عن أهم مؤلفاته، ثم مكانته.

الفصل الثاني: النفس الإنسانية

فقد اهتمَّ بدراسة طبيعة النفس؛ حيث تناولت إثبات وجود النفس، وأهمية معرفتها وتعريفها، ورأي الشيرازي في الحدوث الجسماني للنفس، والأسس التي استند عليها الشيرازي لبناء نظريه، ثم وضَّحت جوهرية النفس وروحانيتها ووجودها العقلاني السابق على وجودها المادي، وقوى النفس، وتعرضت لدراسة الحواس الظاهرة والباطنة موضحًا نظرية الشيرازي في روحانية الخيال والحواس الباطنة عمومًا، والبراهين التي ساقها لإثبات ذلك، ووحدة النفس رغم تعدد قواها وتباين ظواهرها.

الفصل الثالث: المعرفة الإنسانية

تناولت في هذا الفصل موضوع المعرفة الكشفية، ودور العقل الفعَّال في عملية المعرفة، ومشكلة اتحاد النفس بالعقل الفعَّال.

الفصل الرابع: القضاء والقدر

نتناول في هذا الفصل القضاء والقدر عند الشيرازي من حيث مفهوم القضاء والقدر، ومحلهما، وأنواع القدر، والفرق بين القضاء والمقضي، والشرور والمعاصي، وقضاء الله.

الفصل الخامس: الأفعال الإنسانيَّة

نتحدث في هذا الفصل عن الأفعال الإنسانيَّة؛ ولذا فإنه يتناول المراتب، أو الدرجات التي تسبق الفعل الإنساني، وتعمل على تحقيقه في الواقع، فيعرض للإرادة الإنسانية والقدرة والاستطاعة وأفعال العباد، وموقف الشيرازي منها.

الفصل السادس: المعاد الجسماني

حيث تعرضت لمسألة خلود النفس، ورده على منكريها، والمعاد الجسماني الذي يؤمن به الشيرازي خلافًا لأكثر الفلاسفة القائلين بالمعاد الروحاني فقط، والأدلة على بعث الأبدان، وأخيرًا عالجت في هذا الفصل فكرة التناسخ، وموقف الشيرازي منها، والأدلة التي ساقها على بطلان هذه الفكرة.

ثم خاتمة البحث، وتشمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ثم أهم المصادر ومراجع الدراسة

هذا وبالله التوفيق